المبحث الأول
تعريف التهميش وفائدته

تمهيد:

لم يكن أسلافنا العرب القدامى يعرفون نظام الهوامش، وإنما كانوا يعرفون نظام الحواشي؛ والحاشية عندهم هي البياض الذي يحيط النص؛ أي المتن من الصفحة ويكون في أعلى الصفحة وأسفلها، وفي يسارها أو في يمينها، والهامش يعني البياض الذي على يمين المتن من الصفحة غالباً أو على يساره أحياناً، وقد يستخدم بعنوانات جانبية... أما الذيل فهو البياض الذي في أسفل الصفحة...

والغالبية الآن يطلقون على الذيل الهامش؛ والهامش مرتبط ارتباطاً وثيقاً بكتابة البحث، فهو ذو دلالة على قيمة البحث، ومنه تعرف أهمية المراجع والمصادر، ومقدار الثقة بالمحتوى، وهو اليوم جزء لا يتجزأ من البحوث الحديثة، وعلى الباحث وطالب الدراسات العليا أن يفرق بين ما ينبغي أن يكتبه في المتن (صلب البحث أو الرسالة العلمية) وبين حالات الكتابة في الهامش، فلا ينتقل بين المتن وبين الهامش انتقالاً يخل بمنهجية الكتابة [١].

وقد اهتم علماء البحث اهتماماً عظيماً بالهوامش؛ لأنها وسيلة مهمة لمعرفة المصادر والمراجع وتوثيق المعلومات.

ومما سبق يمكن أن يُعَرَّف الهامش لغة على أنه: حاشية الكتاب، جاء في المعجم الوسيط: همش الرجل همشاً إذا أكثر الكلام.... (وهَمَّشَ) الكتاب علق على هامشه ما يَعِنُّ له... والهامش: حاشية الكتاب [٢].

أما تعريف الهامش اصطلاحاً فهو: كل ما يكتب خارج النصوص؛ أو ما ينبغي أن يكون خارج النصوص (المتن).

---

(١) أصول البحث العلمي، د. عبد الرحمن العزاوي (ص:٩٩).

(٢) المعجم الوسيط، مادة (هَمَشَ) (ص:٩٩٤).

وقيل: «كل ما لا يعتبر جزءاً أساسياً في المتن الأساس للكتاب المحدد أو البحث؛ أي أنه يوضع في الهامش».

وقيل: «ما يخرج عن نص المؤلف من الإحالات، والتعليق، والشرح».

ويطلق الهامش -الآن- وفي الاتجاه السائد عند علماء مناهج البحث على أنه: «ما يرد من معلومات مساندة لما في المتن، أو ما يتم إدراجه في نهايات صفحات المتن، أو نهايات فصوله» (١).

الفرق بين الهامش والحاشية:

هناك من لم يفرق بين الهامش والحاشية ويعتبرهما من الألفاظ المترادفة؛ فتستعمل الكلمتين بمعنى واحد، فيطلق اصطلاح الهامش ويراد به الحاشية، والعكس.

وهناك من رأى فرقاً بينهما؛ فالحاشية وجمعها حواشي؛ هي ذلك الفراغ أو البياض الذي يترك على جانبي الصفحة ويحيط بالمتن.

وتستخدم الحاشية في كتابة العناوين الجانبية، أو الفكرة الرئيسة للفقرة المدونة بالمتن... أو الإضافات والتعليقات التي كان يراها المحققون للمخطوطات القديمة؛ وهذه كانت شائعة عند العلماء العرب والمسلمين...

أما الهامش فهو ذلك الفراغ أو البياض الذي يترك في ذيل الصفحة أو أسفلها، ويفصل بينه وبين المتن بخط أفقي لتمييزه...

وعلى كل حال: فالأغلب والسائد في كتب اللغة استعمالها استعمالاً مترادفاً، جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي: «والهامش حاشية الكتاب» (٢)، والمسألة اصطلاحية ولا مشاحة في الاصطلاح.

فائدة التهميش:

للتهميش عدة فوائد من أهمها:

[١] الإشارة إلى المصدر أو المرجع الذي اقتُبِسَ منه النص أو الفكرة المذكورة في المتن أعلاه.

---

(١) قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد ضيني (ص:٥٠٩).

(٢) مادة "همش" (ص:٧٨٨) ونصه: "والهامش حاشية الكتاب، مُوَلَّد".

[٢] إعطاء أسماء مراجع إضافية تؤيد الفكرة المذكورة، أو الإشارة إلى مراجع أخرى تخالف الرأي الذي يذهب إليه الباحث.

[٣] ذكر نص مساعد لتأييد النص المذكور في المتن.

[٤] شرح متمم لفكرة مجملة جاءت في صلب البحث.

[٥] شرح بعض المصطلحات المستغلقة أو التي يستخدمها الباحث استخداماً لتشير إلى دلالات خاصة بموضوع بحثه.

[٦] التعريف بشخصية مجهولة على رغم أهميتها.

[٧] التعريف بمكان أو بلدة غير معروفة.

[٨] تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتحقيقها إذا كانت الرسالة في مجال العلوم الشرعية.

[٩] الإحالة الداخلية... بمعنى إرجاع القارئ إلى موضع أو مواضع أخرى في البحث نفسه تعرضت لنفس الفكرة.

[١٠] الإحالة الخارجية على نصوص مذكورة في بحوث أخرى تناولت أمراً يتعلق بالأمر المطروح في المتن.

[١١] التنويه بفضل مَنْ قد يكون قدم للباحث اقتراحاً أو مساعدة ما [١].

[١٢] وأخيراً بإمكان الباحث إضافة معلومات تكميلية بالهامش دون أخذ أرقام هوامش؛ وذلك إذا كانت المعلومات الإضافية لها أهميتها الخاصة ويحال إليها بعلامة (X) وتكتب بنفس الهامش أسفل الصفحة... [٢].

أضرار التوسع في الهامش:

قد يتوسع بعض الباحثين في الهوامش؛ وهذا يضر بالبحث والباحث من حيث:

[١] أن الباحث يحاول أن يدل على سعة اطلاعه، فهو يحشد المصادر والمراجع في

---

(١) فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية، د. محمد الخشت (ص:٩٥)، أساسيات البحث العلمي، د. شرف الشهاري (ص:١٥٧).

(٢) أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر (ص:٢٠٥).

كل نقطة؛ وقد يؤدي ذلك إلى الجمع بين الغث والسمين في المصادر والمراجع دون تفريق بينهما؛ وهذه الفكرة وهي كثرة المصادر والمراجع في الهامش انتفت في زمننا هذا لوجود الحاسوب والبرامج المعدة فيه...

[٢] أن الباحث مع كثرة ذكره لمجموعة كبيرة من المصادر والمراجع في الهامش لا يستطيع أن يميز بين المصدر أو المرجع الرئيس عن سواه...

[٣] ومما يدخل في التكثر من ذكر الهوامش والمصادر فيها؛ ما يحاول بعض الباحثين المبتدئين إثباته من أنهم قرءوا كثيراً من المصادر والمراجع الأجنبية أو المكتوبة بلغات أجنبية، وذكرها في الهامش [١]، كذكر المصادر العربية ليبين للقراء أنه اطلع على هذه المصادر تزيداً...

(١) انظر: البحث العلمي....، د. رجاء دويدري (ص:٤٥٢).

المبحث الثاني

طرق التهميش ومكانه من البحث

المعروف أن للتهميش ثلاث طرق يتخير منها الباحث الطريقة التي يستحسن السير عليها في بحثه، وينبغي أن يستقر رأيه على واحدة منها حين البدء، فيلتزم السير عليها حتى نهاية البحث.

وهنا نقدم عرضاً لهذه الطرق ثم ذكر محاسن مساوئ كل طريقة:

الطريقة الأولى: التهميش بأسفل الصفحة، ويكون هذا بطريق من الطرق الآتية:

(أ) وضع أرقام مستقلة لكل صفحة على حدة تبدأ من رقم (١) مدوناً في أعلى نهاية النص أو الفكرة، يقابله الرقم المماثل بالهامش. وتوضع أسفل كل صفحة هوامشها، وكل صفحة مستقلة بأرقامها ومراجعها وكل ما يتصل بها، وفي مثل هذه الحالة يفصل صلب الرسالة عن الهوامش بخط أفقي يكون بينه وبين صلب الرسالة مسافة وتتلوه الهوامش على مسافة واحدة أيضاً.

(ب) إعطاء رقم متصل لكل فصل على حدة، ويبدأ -أيضاً- برقم (١) ويستمر إلى نهاية الفصل، مع اختصاص كل صفحة بهوامشها وتعليقاتها...

(ج) إعطاء رقم متسلسل للرسالة كلها مبدوءاً برقم (١) ويستمر إلى نهاية الرسالة، ويدون في أسفل كل صفحة هوامشها.

الطريقة الثانية: التهميش في نهاية كل فصل:

وهذا يكون بإعطاء رقم متسلسل لكل فصل على حدة، مبدوءاً برقم(١) ويستمر حتى نهاية الفصل، وتجمع كل الهوامش والتعليقات لتدوينها في نهاية الفصل.

الطريقة الثالثة: جمع التهميشات كلها في نهاية البحث أو الرسالة وإعطاؤها رقماً متسلسلاً من بداية الموضوع حتى نهايته.

إذن طرق التهميش إما أن تكون: نهاية كل صفحة، أو نهاية كل فصل، أو نهاية

الرسالة أو البحث بغض النظر عن قضية الترقيم...

ولكل طريقة من الطرق السابقة محاسن ومساوئ:

فمن محاسن الطريقة الأولى: أنها تكون معدة حالاً في نهاية الصفحة يتعرف إليها القارئ في الحال دون عناء.

أما مساوئها: فهي صعوبة هذه العملية في الكتابة أو الطباعة حيث يجب أن يقدر لها الفراغ المناسب دون زيادة أو نقصان... وإن كانت هذه القضية قد زالت الآن بوجود أجهزة الحاسوب.

أما الطريقتان الأخريان وهي التي تسير على كتابة المراجع في نهاية كل فصل أو نهاية الرسالة حيث تأخذ رقماً متسلسلاً، فمساؤها: أن الرجوع إليها ليس بنفس السهولة التي يجدها القارئ في الطريقة السابقة، كما يصعب إضافة أو حذف التعليقات في الصفحات الأولى من الفصل إذ يؤدي إلى تغيير رقم التسلسل.

أما محاسنها: فهي سهولة جمعها وتنظيمها في قائمة واحدة؛ وبالإمكان كتابتها في صفحة واحدة وإضافة ما يراد إضافته عند الانتهاء من كتابة الفصل أو المبحث ولن يغير أو يشوه وجه الصفحة وتنسيقها [١].

والطريقة الأفضل -في نظري- هي طريقة كتابة الهوامش أسفل كل صفحة؛ ولكل صفحة أرقامها الخاصة بها... وهذا ما أميل إليه وأرتاح له.

وإن كان ليس هناك اتفاق بين الباحثين على أفضلية موضع على آخر؛ لكن كما قلتُ فقد دلتني التجربة على أن أفضل موضع هو أسفل الصفحة لسهولة قراءتها، أما الطريقتان الأُخْرَيان فتضطران القارئ كلما صادفه رقم هامش أن يُقَلِّبَ صفحات البحث حتى يصل إلى مكان الهوامش مما يُبْعِدُ ذهنه عن المتابعة المتدفقة للفكرة أو الأفكار المتلاحقة في المتن [٢].

---

(١) انظر: كتابة البحث العلمي -صياغة جديدة-، د. عبد الوهاب أبو سليمان (ص:١٣٨)؛ البحث العلمي، د. رجاء وحيدي (ص:٤٥٣)، المرشد في كتابة الأبحاث، د. حلمي فودة ود. عبد الرحمن صالح (ص:٢٦٥).

(٢) فن كتابة البحوث وإعداد الرسائل الجامعية، د. محمد الخشت (ص:٩٦).

المبحث الثالث

كيفية توثيق المصادر والمراجع والمعلومات في الهامش

توثيق المعلومات المعروضة في صلب الرسالة يكون بنسبتها في الهامش إلى مراجعها وأصولها، ومن الأهداف الرئيسة لالتزامها هو لتسهيل الوقوف والرجوع إليها عند الحاجة، سواء أكانت مصادر ومراجع أم معلومات ونحوها .

وإليك بيان ذلك:

أولاً: جرى العرف عند علماء مناهج البحث – وهذا ما يؤكدون عليه – هو تدوين كامل المعلومات عن المصدر أو المرجع الذي يتم الاقتباس منه لأول مرة، مثل: بيانات النشر عن المصدر أو المرجع، الطبعة وتاريخها ودار النشر.. مع ذكر اسم المرجع ومؤلفه...

ولي وجهة نظر في هذه المسألة وهو أنني أرى لا داعٍ لذكر بيانات النشر عند ذكر المرجع أو المصدر لأول مرة؛ لأن القارئ –الكريم– لو أحب أن يطلع على المعلومات الكاملة عن هذا المرجع، فعليه بالرجوع إلى قائمة المصادر؛ ولا داعٍ أن نثقل الهامش بالمعلومات الخاصة بـ(بيانات النشر) ثم إعادتها كاملة في قائمة المصادر والمراجع...

ثانياً: عند توثيق المرجع أو المصدر يبدأ باسم المؤلف ثم لقبه، والبعض يبدأ باللقب ثم الاسم؛ والمهم السير على طريقة واحدة بصورة مستمرة، مثاله كما في الهامش:

[انظر:علاء الدين بن أبي بكر الكاساني، بدائع الصنائع،ج...] أو: [الكاساني، بدائع الصنائع، ج....].

ثالثاً: إذا كان اللقب مشهوراً فيكتفي به عوضاً عن بقية الاسم، مثاله: [انظر: ابن قدامة، المغني، ج....].

رابعاً: بماذا يبدأ باسم الكتاب أو باسم المؤلف –كما سبق– الذي أراه –من وجهة

نظري- أنه في الكتب العربية القديمة يبدأ باسم الكتاب ثم لقب المؤلف أو اسمه..

أما بالنسبة للكتب الحديثة فيُبْدأ باسم المؤلف ثم كتابه، ثم الجزء والصفحة؛ والسبب في ذلك: أن شهرة الكتب العربية القديمة بأسمائها، وشهرة الكتب الحديثة بأسماء مؤلفيها؛ ولأنك قد تجد أكثر من كتاب باسم واحد ولا يمكن التفريق إلا بذكر اسم المؤلف.

خامساً: عند ذكر المرجع في صفحة واحدة وبدون فاصل بينه وبين مرجع آخر تقول: انظر: المرجع السابق.

أما إذا تكرر المرجع وفصل بينهما بمرجع آخر؛ فالذي أراه أن تذكر المرجع؛ لأنك لو قلت انظر: المرجع السابق فلا أعلم أي المرجعين تقصد....

سادساً: قد يكون هناك كتاب من عدة أجزاء في مجلد واحد، ففي هذه الحالة لا بد أن تقول: انظر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام المجلد الأول الجزء الثاني، ص... مثاله: [انظر: درر الحكام، مجلد (١) ج /٢ ر، ٢٠٠..].

سابعاً: قد يكون في الكتاب الواحد عدة كتب؛فلا بد من الدقة عند الإحالة في هذه الحالة،فتذكر الكتاب المقتبس منه ثم عنوان الكتاب الرئيس...مثاله في الهامش: [انظر: المغني مع الشرح الكبير،ج...] إذا كان النقل من المغني أو تقول العكس إذا كان النقل من الشرح الكبير،مثاله: [انظر: الشرح الكبير مع المغني، ج...].

ثامناً: في ذكر الآية القرآنية في الهامش فالذي أراه أن تقول: [(١) الإسراء: ١٥] ولا داعٍ أن تقول: [(١) سورة الإسراء، الآية: الخامسة عشر] فهذا تطويل لا داعي له.

تاسعاً: في ترجمة المؤلف الذي أراه أن لا تتعدى الترجمة ثلاثة أسطر، ويجب التركيز على اسم المؤلف، وشهرته، وبعض كتبه المهمة، مثال ذلك في الهامش:

١ - القرطبي (...٦٧١) هو محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المالكي، من كبار المفسرين، اشتهر بالصلاح والتعبد، من تصانيفه: [الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة]. الأعلام، ج... سير أعلام

النبلاء، ج...

وهناك ملحوظة مهمة وهي أن علماء مناهج البحث اختلفوا في الترجمة:

أ- فمنهم من يرى أنه يترجم لكل من يرد في متن الرسالة؛ حتى أنني رأيت طالب دراسات عليا؛ قد قام بترجمة الرسول ﷺ.

ب- ومنهم من يرى عدم ترجمة أي علم مَرَّ ذكره في الرسالة أو البحث.

ولعل الرأي الراجح هو: أن يترجم الباحث لمن يرى أنه يستحق الترجمة، أو يترجم لشخص أو مؤلف يرى أن ذكر ترجمته تخدم الفكرة التي اقتبسها من كتابه أو بحثه...

وأرى أن يضيف الباحث هذه العبارة حتى يسلم من انتقاد المناقشين له في رسالته فيقول: منهجيتي لبحثي في الأعلام أنني سوف أقوم بترجمة الأعلام الذين أرى من وجهة نظري أنهم يستحقون للترجمة، ولن أترجم للأئمة الأربعة من الفقهاء ولا المشهورين من الصحابة...

عاشراً: بالنسبة لتوثيق الحديث الشريف وتخريجه؛ فإذا ذُكِرَ الحديثُ في الصحيحين؛ فإنه لا يعزى لغيرهما؛ وكان ذلك علامة على كونه متفقاً عليه؛ وإن كان في أحدهما يقتصر على عزوه إليه، وإن لم يذكره أحدهما يتتبع من ذكره من أصحاب السنن، ويذكر درجة الحديث ما أمكن... ولا مانع من ذكر تصحيح بعض العلماء المحدّثين وذلك من باب الاستئناس على صحة الحديث.

مثال ذلك في: (أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خان) [(١)]، فيكون تخريجه في الهامش كالآتي:

[(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب البيوع والإجارات باب (١٨) في الرجل حقه....، ج ٣/ ٨٠٤-٨٠٥ سكت عنه أبو داود، وأخرجه الترمذي في كتاب البيوع باب (٣٨)...، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب، ج ٣ / ٨٨٥، حديث رقم (١٢٦٤). وقد أطال الكلام على هذا الحديث الشيخ عبد الله بن

جبرين في تحقيقه لكتاب الزركشي، ج ٤ / ٥٧٥].

حادي عشر: إذا ذُكِرَ الحديث مرة أخرى، فتقول: سبق تخريجه)ص:...) من هذا البحث.

ثاني عشر: يجب أن يعتمد الباحث في جميع بحثه على طبعة لا يغيرها، فإذا اضطر إلى تغيير الطبعة لكتاب واحد -مثلاً- فإنه يذكر كامل المعلومات للكتاب الذي اقتبس منه من حيث بيانات النشر في الهامش أسفل الصفحة؛ وذلك بسبب اختلاف الطبعات.

ثالث عشر: إذا كان مؤلف الكتاب مجهولاً، فإنه يذكر اسم الكتاب مع ذكر كلمة (المؤلف مجهول).

رابع عشر: يذكر الباحث أسماء المؤلفين للكتاب الواحد ولو كان لهما لقباً واحداً، فينبغي ذكر اسم كلٍّ منهما منفرداً مع لقبه...

أما إذا كانوا من الكثرة ويصعب ذكرهم جميعاً، فيذكر الأول منهم ويتبع ذلك بكلمة وآخرين. مثاله في الهامش:

(انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وآخرون).

خامس عشر: عند ذكر المراجع في الهامش يذكر في الكتب الفقهية الأمور الآتية:

(أ) تقديم المذاهب الفقهية حسب الأسبقية: المذهب الحنفي ثم المذهب المالكي، ثم المذهب الشافعي، ثم المذهب الحنبلي...

(ب) ترتيب كل كتاب لكل مذهب حسب الترتيب الزمني للكاتب، فيقدم مثلاً: كتاب تحفة الفقهاء على كتاب بدائع الصنائع، ويقدم كتاب حاشية الدسوقي على كتاب حاشية ابن عابدين ، وهلم جراً...

سادس عشر: عند ذكر المعلومات في الهامش،واضطررت أن تعلق على المعلومات في الهامش؛ وذلك لأهمية هذه المعلومات الخاصة؛ فإنه يحال إليها بعلامة (X) في أسفل الصفحة دون ذكر أرقام. مثاله: